الأصول الثلاثة وأدلتها

وشروط الصلاة

والقواعد الأربعة

تأليف

الإمام العلامة صاحب النهضة الدينية المجدد شيخ الإسلام

محمد بن عبد الوهاب

المتوفى سنة ١٢٠٦ رضى الله عنه وأرضاه

بتعليق أحد أفاضل العلماء

نشر وتوزيع
رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد
بالمملكة العربية السعودية

(وقف لله تعالى)

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمكَ اللهُ أنه يجب علينا تَعلُّمُ أربعِ مسائلَ : (الأُولى) العِلم ، وهو مَعْرفَةُ اللهِ ، ومعرِفةُ نبيِّهِ ، ومعرفةُ دِينِ الإِسلام بالأَدلَّةِ . (الثَّانِيَةُ) العملُ به . (الثالثةُ) الدَّعْوَةُ إليه . (الرابعة) الصَّبْرُ على الأَذَى فيه . والدَّلِيلُ قولهُ تعالى : (بِسْمِ اللهِ الرحْمٰنِ الرحِيمِ . والعصرِ . إنَّ الإِنسانَ لَفِى خُسْرٍ . إلاَّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتَوَاصَوْا بالحَقِّ وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ) . قال الشَّافِعىُّ رحمه الله تعالى : لوما أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً على خَلْقِهِ إلا هٰذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ .

وقال البُخَارِىُّ رحمه اللهُ تعالى :

«(بابٌ) : العِلمُ قَبْلَ القولِ والعَمَلِ ، والدليلُ قوله تعالى :[1] (فاعلَمْ أَنَّهُ لا إِله إلاَّ اللهُ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)[2] فَبدَأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ» . اعلمْ رحمك اللهُ أَنه يجبُ على كل مسلمٍ ومسلمةٍ تَعلُّمُ هَذِهِ المسائِل الثلاث والعملُ بِهِنَّ :

---

(١) الذى فى صحيح البخارى كما فى النسخ التى بأيدينا « باب العلم قبل القول والعمل ، لقول الله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله ، فبدأ بالعلم » .

(٢) الآية ١٩ من سورة محمد .

(الأولى) أنَّ اللهَ خلقَنا ورزَقنا ولم يَترُكنا هَملًا ، بلْ أرْسَلَ إلينـا رسولاً ، فمَنْ أطاعَهُ دخل الجنةَ ، ومَن عَصاهُ دخل النارَ . والدليلُ قوله تعالى : (إنَّا أرسَلْنا إليكمْ رَسُولاً شاهِداً عليكم كما أرسَلْنا إلى فِرْعَوْنَ رسولاً . فَعَصى فِرْعَونُ الرسولَ فأخَذْناهُ أخْذاً وَبِيلًا)[1] .

(الثانيةُ) أنَّ اللهَ لا يَرْضَى أنْ يُشْرَكَ معه فى عِبادَتِه أحَدٌ ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ . والدليل قوله تعالى : (وأنَّ المساجدَ لِلهِ فلا تدْعُوا مع اللهِ أحداً)[2] .

(الثالثةُ) أنَّ مَن أطاعَ الرسولَ ووَحَّدَ اللهَ لا يجوز له مُوالاةُ مَن حادَّ اللهَ ورسولَه ولو كان أقربَ قريبٍ . والدليلُ قوله تعالى : (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورسولَهُ ولو كانُوا آباءَهُمْ أو أبْناءَهُمْ أو إخْوانَهُمْ أو عَشِيرَتَهُمْ ، أُولئِكَ كَتَبَ فى قلوبِهمُ الإيمانَ وأيَّدَهُمْ بِرُوحٍ منه ، ويُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى من تحتِها الأنهارُ خالِدينَ فيها، رضىَ اللهُ عنهم ورَضُوا عنهُ ، أولئكَ حِزْبُ اللهِ ، ألاَ إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ)[3] .

---

(١) الآيتان ١٥،١٦ من سورة المزمل . (٢) الآية ١٨ من سورة الجن .

(٣) الآية ٢٢ من سورة المجادلة . ومعناها — والله أعلم — لا تجد قوماً يؤمنون

اعلمْ أرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ أنَّ الحنيفيَّةَ مِلة إبرهيمَ أنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصاً لهُ الدِّينَ . وبذلك أمَرَ اللهُ جميعَ الناسِ وخَلَقَهُمْ لها : كما قال تعالى : (وما خَلقتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ ليَعْبُدُونِ) . ومَعْنَى يَعْبُدُونِ يُوَحِّدُونِي . وأعْظَمُ ما أمَرَ اللهُ بِهِ التوحيدُ ، وهو إفْرَادُ اللهِ بالعبادةِ . وأعْظَمُ ما نَهَى عنه الشِّرْكُ ، وهو دَعْوَةُ غيرِهِ معه . والدليل قوله تعالى : (واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا بهِ شَيْئاً) .(١)

فإذا قيل لك : ما الأُصُولُ الثلاثةُ التي يجبُ على الإنسانِ معرِفتُها ؟ فقلْ : معرفةُ العبد رَبَّهُ ودِينَهُ ونبيَّه محمداً صلى اللهُ عليه وسلم .

فإذا قيل لك : مَنْ رَبُّكَ ؟ فقُلْ : رَبِّيَ اللهُ الّذِى ربَّانِي ورَبَّى

حاد الله ورسوله ، أي يجعلون موادة بينهم وبين من حادّ وشاقّ الله ورسوله وعاند شرعه ، ولو كانوا من الأقربين . قيل : نزلت هذه الآية الشريفة فى أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ، وكان من المحادّين المعاندين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضي الله عنهم : ولو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته . ويكون من اتصف بذلك ممن كتب الله في قلبه الإيمان والسعادة وقررها في قلبه بقوة منه ، وزين الإيمان في بصيرته . فهلا فعل علماؤنا ذلك بمن انقلب منهم على عقبيه وحادّ الله ورسوله وعاند شرعه ، ورد على القرآن والسنة بزعمه الفاسد ، ونشر المقالات في الجرائد والمجلات ضد الإسلام وأهله ، ولو نقص من أحدهم رغيف من جرايته لقام وتخبط وأرغى وأزبد . فما لهم عن الحق معرضين ؟

(١) الآية ٣٦ من سورة النساء .

جَمِيعَ العالمين بنِعْمَتِهِ، وهو معبودِي، ليس لى معبودٌ سواهُ.
والدليل قوله تعالى: (الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِينَ) وكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عالَمٌ، وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ.

فإذا قيل لك: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فقلْ: بآياتهِ ومخلوقاتهِ، ومِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ والشمسُ والقمرُ، ومِنْ مخلوقاته السَّمٰواتُ السَّبْعُ والأرَضُونَ السبعُ ومَن فيهنَّ وما بينهما. والدليلُ قوله تعالى: (ومِنْ آياتِهِ الليلُ والنهارُ والشمسُ والقَمَرُ، لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ولا للقمرِ واسْجُدُوا للهِ الذى خَلَقَهُنَّ إنْ كنتمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ)[1]. وقوله تعالى: (إنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خلق السموات والأرضَ فى سِتَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى على العرشِ، يُغْشِي الليلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً[2] والشمسَ والقمرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بأمْرِهِ، ألَا لهُ الخَلْقُ والأمْرُ، تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالمينَ)[3]. والرَّبُّ هو المعبودُ. والدليلُ قوله تعالى: (يا أيُّها النَّاسُ اعْبُدوا رَبَّكُمُ الذى خلقكم والذين من قَبْلِكُمْ لعلكم تَتَّقُونَ. الذِى جَعَل لكم الأرضَ فِرَاشاً[4] والسَّماءَ

---

(١) الآية ٣٧ من سورة فصلت.
(٢) أي مسرعاً.
(٣) الآية ٥٤ من سورة الأعراف.
(٤) أي ذللها لكم ولم يجعلها ناتئة لا يمكن الاستقرار عليها.

بِناءً[١] وأنزلَ من السّماء ماءً فأخرجَ بهِ منَ الثّمَرَاتِ رزقًا لكم ، فلا تجعلُوا للهِ أنداداً[٢] وأنتُمْ تعلمُونَ)[٣]. قال ابنُ كثيرٍ رحمه الله تعالى : الخالقُ لهذه الأشياءِ هو المُستحِقُّ للعبادةِ .

وأنواعُ العبادةِ الّتي أمَرَ اللهُ بها ، مِثْلُ الإسلامِ والايمانِ والإحسانِ ، ومنه الدُّعاءُ ، والخوفِ ، والرَّجاءُ ، والتّوكّلِ ، والرَّغْبةِ ، والرَّهْبةِ ، والخشوعِ ، والخَشْيةِ ، والإنابةِ ، والاستعانةِ ، والاستعاذة ، والاستغاثةِ ، والذَّبحِ ، والنَّذرِ ، وغيرَ ذلك منَ العبادةِ التي أمرَ اللهُ بها ، كلُّها للهِ . والدليل قوله تعالى : (وأنَّ المَساجدَ للهِ فلا تَدْعُوا معَ اللهِ أحدًا)[٤] ، فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغيرِ اللهِ فهوَ مشركٌ كافرٌ . والدليلُ قوله تعالى : (ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إلٰهًا آخرَ لا بُرْهانَ لهُ بهِ فإنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبّهِ ، إنّهُ لا يُفلِحُ الكافرونَ)[٥]. وفي الحديث : « الدُّعاءُ مُخُّ العبادةِ »[٦] . والدليلُ قوله تعالى : (وقال رَبُّكُمْ :

---

(١) أي جعل السماء كالقبة المضروبة ، أو أنها كالسقف للأرض .

(٢) هو جمع ند بكسر النون ، وهو المثل والنظير . (٣) الآيتان ٢١ ، ٢٢ من سورة البقرة . (٤) الآية ١٨ من سورة الجنّ . (٥) الآية ١١٧ من سورة المؤمنون . (٦) رواه الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه . قال ابن الأثير في النهاية : مخ الشيء خالصه ، وإنما كان مخها لأمرين : أحدهما أنه امتثال أمر الله تعالى حيث قال (ادعوني أستجب لكم) ، فهو محض

أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)[١] . ودليل الخوف قوله تعالى : (فلا تَخَافُوهُمْ وخافونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[٢] . ودليلُ الرَّجاء قوله تعالى : (فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)[٣] . ودليل التوكُّل قوله تعالى : (وعلى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[٤] . (ومَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فهوَ حَسْبُهُ)[٥]. ودليل الرَّغبةِ والرَّهْبةِ والخشوعِ قوله تعالى : (إِنَّهُمْ كانوا يُسَارِعُونَ في الخيْرَاتِ ويَدْعُونَنَا رَغَباً ورَهَباً وكانوا لنَا خاشِعِينَ)[٦] . ودليل الخشْيةِ قوله تعالى : (فلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) الآية[٧] . ودليل الإِنَابةِ قوله تعالى : (وأَنِيبُوا إلى رَبِّكُمْ وأَسْلِمُوا لهُ) الآية[٨]. ودليل الاستعانة قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ

العبادة وخالصها . الثاني أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده ، وهذا هو أصل العبادة ، ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها ،وهو المطلوب بالدعاء .

(١) الآية ٦٠ من سورة غافر . (٢) الآية ١٧٥ من سورة آل عمران .
(٣) الآية ١١٠ من سورة الكهف . (٤) الآية ٢٣ من سورة المائدة .
(٥) الآية ٣ من سورة الطلاق . (٦) الآية ٩٠ من سورة الأنبياء .
(٧) الآية ١٥٠ من سورة البقرة . (٨) الآية ٥٤ من سورة الزمر .

نَسْتَعِينُ) . وفى الحديثِ : « إذا اُسْتَعَنْتَ فاُسْتَعِنْ بِاللهِ »(١) .
ودليل الاستعاذةِ قوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناسِ مَلِكِ الناسِ) .
ودليل الاستغاثةِ قوله تعالى : (إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاُسْتَجَابَ لَكُمْ) الآية(٢). ودليل الذبح قوله تعالى : (قُلْ إنَّ صَلاتِي ونُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ ، وبذلكَ أُمِرْتُ وأنا أوَّلُ المسْلِمِينَ)(٣) . ومن السُّنةِ : « لَعَنَ اللهُ مَن ذَبَحَ لغيرِ اللهِ »(٤) . ودليل النَّذْرِ قوله تعالى : (يُوفُونَ بالنَّذْرِ ويَخَافونَ يوماً كان شَرُّهُ مُسْتَطِيراً)(٥) .

﴿ الأصلُ الثـاني ﴾

معرفةُ دِينِ الإسلام بالأدلةِ . وهو الاستِسْلامُ للهِ بالتَّوْحيدِ ،

---

(١) هذا قطعة من حديث مطول ، رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح. والمعنى : إذا أردت طلب المعونة في تحمل المؤونة المتعلقة بأمر الدنيا والآخرة فاستعن بالله إذ لا معين سواه ، ولا فاتح باب ولا مانع عطاء إلا إياه ، فلا بد من قطع الواسطة في مقام قربه ، كما يشير إليه قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) أي ما نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك . (٢) الآية ٩ من سورة الأنفال .
(٣) الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ من سورة الأنعام . (٤) الحديث رواه مسلم مطولاً . واللعن: البعد عن مظان الرحمة ومواطنها . واللعين والملعون : من حقت عليه اللعنة
(٥) الآية ٧ من سورة الإنسان . مستطيراً : أي منتشراً عاماً على الناس ، نسأل الله حسن الخاتمة .

والانقيادُ له بالطاعةِ ، والخلوصُ منَ الشِّرْكِ . وهو ثلاثُ مَراتِبَ : « الإسْلامُ » و« الإيمَانُ » و« الإحْسانُ » . وكُلُّ مَرْتبةٍ لهَا أرْكَانٌ . فأركَانُ الإسلام خمسةٌ : شَهادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمداً رَسولُ الله ، وإقامُ الصَّلاةِ ، وإيتَاء الزكَاةِ ، وصومُ رمضانَ ، وحَجُّ بيتِ اللهِ الحرامِ .

فَدَليلُ الشَّهادَةِ قوله تعالى : (شَهِدَ اللهُ أنَّهُ لا إلَهَ إلا هو والملائكةُ وأُولُو العِلْمِ قائِمًا بالقِسْطِ لا إلَهَ إلا هو العزيزُ الحكيمُ)(١) . ومعناها : لا معبودَ حَقٌّ إلا اللهُ وحدَه . « لا إلَهَ » نافيًا جميعَ ما يُعبَدُ من دونِ اللهِ . « إلا اللهُ » مُثْبِتًا العبَادةَ للهِ وَحْدَهُ ، لا شريكَ له فى عبادتِه ، كما أنهُ ليس له شريكٌ فى مُلْكِه . وتفسيرُها الذى يوضحها قولهُ تعالى : (وإذْ قال إبرهيمُ لأبيهِ وقومهِ إنَّنى بَرَاءٌ مِمَّا تَعبُدُونَ . إلاّ الذى فَطَرَنِى(٢) فإنهُ سَيَهْدِينِ . وجعَلها كلِمَةً باقيةً فى عَقبِهِ لعلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(٣) . وقوله تعالى : (قُلْ : يا أهلَ الكتَابِ تعالَوْا إلى كلِمَةٍ سَواءٍ بيننا وبينَكُمْ أن لا نَعبُدَ إلا اللهَ ولا نُشرِكَ بهِ شيئًا ولا يَتَّخِذَ بعضُنَا

---

(١) الآية ١٨ من سورة آل عمران . (٢) أي خلقني وأوجدني من العدم .

(٣) الآيات ٢٦ — ٢٨ من سورة الزخرف .

بعضاً أرباباً من دُونِ اللهِ ، فإنْ تَوَلَّوْا فقولوا اُشْهدُوا بأنَّا مُسْلِمُونَ)(١)

ودليلُ شهادةِ أنْ محمداً رسولُ اللهِ قوله تعالى : (لقَدْ جاءَكُمْ رسولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ(٢) عَزِيزٌ عليـهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكم بالمؤمنين

(١) الآية ٦٤ من سورة آل عمران . وهي خطاب لليهود والنصارى حسب ظاهر النظم القرآني (تعالوا إلى كلمة سواء) عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ، ثم فسرها بقوله تعالى (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا غير ذلك ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له . وهذه هي دعوة جميع الرسل إلى الله تعالى ذكره وتنزهت صفاته . وقوله تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) تبكيت لمن اعتقد ربوبية المسيح وعزير ، وإشارة إلى أن هؤلاء من جنس البشر وبعض منهم ، وإزراء بمن قلد الرجال في دين الله فحلل ما حللوه وحرم ما حرموه عليه ، فإن من فعل ذلك فقد اتخذ من قلده رباً ، ومنه (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) ، قال ابن جريج : لا يطيع بعضنا بعضاً في معصية الله ، وقال عكرمة : لا يسجد بعضنا لبعض ، (فإن تولوا) أعرضوا عن التوحيد (فقولوا) أي أنت يا محمد والمؤمنون لهم : (اشهدوا بأنا مسلمون) أي موحدون ، لما لزمتكم الحجة ، فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم .

(٢) الخطاب للعرب عند جمهور المفسرين ، و (من أنفسكم) من جنسكم في كونه عربياً قرشياً مثلكم تعرفون نسبه وحسبه . (عزيز عليه ما عنتم) ما : مصدرية ، والعنت : التعب لهم والمشقة عليهم ولقاء المكروه ، بعذاب الدنيا بالسيف ونحوه ، أو بعذاب الآخرة بالنار ، أو بمجموعهما . والمعنى شاق عليه عنتكم لكونه من جنسكم ومبعوثاً لهدايتكم . (حريص) شحيح عليكم بأن تدخلوا النار ، أو حريص على إيمانكم وهدايتكم . (بالمؤمنين رؤف رحيم) فسماه الله تعالى رؤفاً رحيماً ، ولم يجمع لأحد من أنبيائه بين اسمين من أسمائه تعالى إلا للنبي صلى الله عليه وسلم .

رؤوفٌ رحيم)[١] ومعنى شهادة أن محمداً رسولُ اللهِ طاعتُه فيما أمرَ ، وتصديقُه فيما أخبرَ ، واجتنابُ ما عنه نهى وزجرَ ، وأنْ لا يُعبَدَ اللهُ إلاّ بما شرَعَ . ودليلُ الصلاةِ . والزكاةِ وتفسيرُ التوْحيدِ قوله تعالى : (وما أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لهُ الدِّينَ حُنَفاءَ[٢] ويُقِيمُوا الصلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكاةَ وذلكَ دِينُ القَيِّمَةِ)[٣] . ودليلُ الصيامِ قوله تعالى : (يا أيُّها الذينَ آمنوا كُتِبَ[٤] عليكمُ الصيامُ كما كُتِبَ[٥] على الذين من قَبْلِكمْ لعلكمْ تتَّقُونَ)[٦] . ودليلُ الحجِ قوله تعالى : (وللهِ على النَّاسِ حِجُّ البيتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إليه سَبِيلاً ، ومَنْ كَفَرَ فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عن العالَمِينَ)[٧]

﴿ المَرْتبةُ الثانيةُ ﴾

الإيمانُ . وهو بِضْعٌ وسبعونَ شُعْبةً ، فأعلاها قولُ لا إله إلا اللهُ ، وأدْناهَا إماطَةُ الأذَى عن الطَّرِيقِ ، والحياءُ شُعْبةٌ من

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة . (٢) أي متحنين عن الشرك إلى التوحيد . (٣) الآية ٥ من سورة البينة . « والقيمة » القائمة العادلة ، أو الأمة المستقيمة المعتدلة . (٤) أي فرض . (٥) أي كما فرض على الأمم السابقة فهو مشروع قديماً . (٦) الآية ١٨٣ من سورة البقرة . (٧) الآية ٩٧ من سورة آل عمران .

الإيمانِ[١] . وأركانُه ستةٌ : أنْ تُؤمنَ باللهِ وملائكتِه وكُتُبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وبالقَدَرِ خيرِه وشرِّه . والدليلُ على هذه الأركانِ الستةِ قوله تعالى : (لَيْسَ البِرَّ أنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المشرقِ والمغربِ ، ولكِنَّ البِرَّ مَن آمَنَ باللهِ واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنَّبِيِّينَ) الآية[٢] . ودليل القدَر قوله تعالى : (إنَّا كُلَّ شَيْءٍ خلقناهُ بِقَدَرٍ)[٣] .

﴿ المَرْتَبةُ الثالثةُ ﴾

الإحسانُ . رُكْنٌ واحدٌ . وهو أنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ[٤] . والدليل قوله تعالى : (إنَّ اللهَ معَ الذينَ اتَّقَوْا والذينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)[٥] . وقوله تعالى : (وتَوَكَّلْ على العزيزِ الرحيمِ . الذي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ . وتَقَلُّبَكَ في السَّاجدِينَ . إنَّه هو السَّميعُ العليمُ)[٦] . وقوله تعالى : (وما تَكُونُ في شَأْنٍ

---

(١) هذه رواية مسلم ، ورواية البخاري في صحيحه بلفظ « الإيمان بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان » . (٢) الآية ١٧٧ من سورة البقرة . (٣) الآية ٤٩ من سورة القمر . (٤) هذا قطعة من حديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما حينما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الإسلام والإحسان وغير ذلك ، وسيذكره المصنف قريباً . (٥) الآية ١٢٨ من سورة النحل . (٦) الآيات ٢١٧ — ٢٢٠ من سورة الشعراء

وما تَتْلُومنه من قُرْآنٍ ولا تَعمَلُونَ منْ عَمَلٍ إلاّ كُنَّا عليكم شُهوداً إذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) الآيةَ (١).

والدليلُ من السنةِ حديثُ جبْرِيلَ المشهورُ عن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه قال : « بَيْنَما نحن جُلوسٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم إذْ طَلَعَ علينا رجلٌ(٢) شَدِيدُ بَيَاضِ الثياب شديدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، لا يُرَى عليهِ أَثرُ السَّفرِ(٣) ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، فجَلَسَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ ، ووَضَعَ كَفَّيْهِ على فَخِذَيْهِ(٤) وقال : يا محمدُ ، أَخْبِرنى عن الإسلام ، فقال : أَنْ تَشْهَدَ أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ،(٥) وتُقِيمَ الصَّلاةَ(٦) وتُؤْتِيَ

---

(١) الآية ٦١ من سورة يونس . (٢) أي ظهر لنا شخص بصورة رجل من جنسنا بغتة حين كنا جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٣) أي لا يرى الرائي إذا نظر إليه أثر السفر عليه ، من نحو غبرة وشعث وغير ذلك مما يغيّر حال الشخص . (٤) وهذه هيئة الأدب وكمال التواضع .نسأل الله إلهام طلاّب العلم آدابه . (٥) أي تقر وتعترف بأن لا إله بحق يعبد في الوجود إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، يبلغ أحكامه ويبين للأمة ما ينفعها في معاشها ومعادها ، معصوم من الزلل في القول والعمل . (٦) أي تأتي بها في أوقاتها المحدودة مع المحافظة على شرائطها ورعاية أركانها ومندوباتها كما كان يأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعات وفرادى ، وتداوم عليها إلى أن ينقضي أجلك وتلقى ربك .

الزَكاةَ(١) وتصومَ رمضانَ(٢) وتَحُجَّ البيتَ إنِ استَطَعْتَ إليه سَبِيلًا(٣) ، قال : صَدَقْتَ ، فَعجِبْنا لهُ يَسْأَلهُ وَيُصَدِّقُهُ(٤) ، قال : أَخبرِني عنِ الإيمانِ ، قال : أن تُؤْمِنَ باللهِ(٥)

---

(١) أي تخرج الزكاة وتضعها في مصارفها وتعطيها مستحقها بشروطها المبينة في كتب السنة الثابتة عن صاحب الشريعة بدون نقص ولا زيادة . (٢) أي تمسك في شهر رمضان عن الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وكذلك عن الغيبة والكذب والنميمة وكل منهي عنه شرعاً ، مع الاجتهاد في العبادة والإكثار من إحياء الليالى التي جاء الشرع بإحيائها والحث عليها . (٣) أي تقصد بيت الله الحرام في وقت مخصوص ، وعلى هيئة مخصوصة وشرائط معلومة جاءت عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم . (٤) وجه تعجب الصحابة من السائل أن كون الرجل سائلاً يقتضى عدم علمه بالمسؤول عنه ، وتصديقه يوجب خلاف حاله ، ثم زال هذا التعجب الناشيء عن الجهل بسبب الشيء بعلمهم أن السائل جبريل جاءهم في صورة متعلم وطالب ليعلمهم أمر دينهم ، لأنهم كانوا على خلق عظيم ومهابة وحياء وكمال أدب ، فلا يجسر أحد منهم رضى الله عنهم على سؤال الرسول فيما لم يخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم به من نفسه . ومن يطلع على كتب السير يرى مايخجل من حال طلاب العلم الآن مع علمائهم ومعلميهم ، ويوجب الأسف والحزن ، مع أن هؤلاء هم مثال الأدب والكمال . (٥) أي تصدق بالله تعالى وأنه متصف بكل كمال منزه عن كل نقص . وقد وصف الله جل ذكره نفسه في كتابه المنزل على نبيه المرسل ، وقد جاءت السنن بصفات الباري تعالى ، فنؤمن بما جاء وصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم بدون تأويل ولا تحريف ولا صرف عن ظاهرها .

وملائكته(١) وكُتُبِهِ(٢) ورُسُلِهِ(٣) واليومِ الآخِرِ(٤) وبالقَدَرِ(٥) خَيْرِهِ وشَرِّهِ(٦)، قال: أخبرنى عن الإحسان، قال: أن تَعْبُدَ اللهَ كأنَّك تَرَاهُ، فإن لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ، قال: أخبرنِي عن السَّاعةِ(٧)، قال: ما المَسْئولُ عنها بأَعْلَمَ من السَّائِلِ(٨)، قال: أخبرنى عن أَمارَاتِهَا(٩)، قال: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا(١٠)، وأَنْ تَرى الحُفَاةَ العُرَاةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتَطاوَلُونَ فى البُنْيَانِ(١١)، قال: فَمَضَى

---

(١) جمع «ملك» وهي أجسام نورانية لطيفة مبرأة من الكدورات النفسانية والشهوات الحيوانية مقتدرة على تشكلات مختلفة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون . (٢) جمع كتاب ، أي ما أنزل الله على أنبيائه بطريق الوحي . (٣) جمع رسول ، وهو إنسان أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه . والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون عن الكبائر والصغائر عمداً . (٤) أي يوم القيامة . (٥) بفتح القاف والدال وسكونها لغتان ، هو ما قضاه الله تبارك وتعالى وحكم به من الأمور أزلاً . (٦) أى حلوه ومره . (٧) أي عن قيام الساعة ، كما صرح به في رواية مسلم ، أي وقت وقوع القيامة . (٨) أي أنا وأنت في العلم بزمنها ووقوعها سواء ، لأنها من مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو . (٩) بفتح الهمزة أي علاماتها الدالة على مجيئها ووقوعها . (١٠) يعني أن الخادمة التي يتسرى بها تلد سيدتها أو سيدها . وهذا والله أعلم كناية عن إسناد الأمر إلى غير أهله ، وأن حثالات الناس وأسافلها يصبحون وبيدهم مقاليد الحل والربط ، والله أعلم . (١١) أي وحتى ترى الحفاة العراة الفقراء رعاء الغنم يتغالون في رفع البناء ويتفاخرون في حسنه . والمعنى أن أهل البادية وأشباههم من أهل الفاقة تبسط عليهم الدنيا ، فيتوطنون البلاد ، ويبنون القصور الشاهقة المرتفعة ، ويباهون العباد فى ذلك . وهو إشارة أيضاً

فَلَبِثْنا مَلِيّاً(١) فقال : يا عمرُ أتَدْرُون مَنِ السائلُ ؟ قلنا : اللهُ ورسوله أعلمُ ، قال : هذا جبريلُ أتاكُمْ يُعلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ » .(٢)

﴿ الأَصْلُ الثالثُ معرِفةُ نَبِيِّكُمْ مُحمدٍ صلى الله عليه وسلم ﴾

وهو مُحمدُ بن عبد الله بن عبد المُطَّلِبِ بن هاشمٍ(٣) . وهاشمٌ من قُرَيْشٍ ، وقريشٌ من العربِ ، والعَرَبُ من ذريّةِ إسمعيلَ بن إبرهيمَ الخليل ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاةِ والسلامِ . وله من العمر ثلاثٌ وستون سنةً ، منها أربعون قبلَ النُّبوَّةِ ، وثلاثٌ وعشرون نبيّاً رسولاً . نُبِّئَ بإقْرَأْ . وأُرسِلَ بالمُدَّثِّرِ . وبلدُه مكةُ بَعَثَهُ اللهُ بالنِّذارَةِ عن الشِّرْكِ ويَدْعو إلى التوحيدِ . والدليلُ قوله تعالى : (يا أيُّها المُدَّثِّرُ(٤) . قُمْ فأَنْذِرْ . ورَبَّكَ فكَبِّرْ . وثِيابَكَ

إلى تغلب الأسافل الأراذل على الكرام وأرباب الكمال فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) أى وقتاً طويلا . (٢) خرجه مسلم فى كتاب الإيمان . (٣) لم يذكر المؤلف رحمه الله للنبي صلى الله عليه وسلم إلا جدين ، وهاك سرد نسبه الشريف — بأبي وأمى أفديه — عليه الصلاة والسلام : هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن اليأس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . (٤) أي قم يا أيها الذى تدثر بثيابه وتغشى بها من من الرعب الذى حصل له رؤية الملك عند نزول الوحى ، كما فى الحديث الوارد فى سبب النزول .

فَطهِّرْ. والرُّجْزَ فاهْجُرْ. ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ. ولِرَبِّكَ فاصْبِرْ[١])

ومعنى «قُمْ فأَنْذِرْ» يُنْذِرُ عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، «ورَبَّكَ فَكَبِّرْ» عَظمْهُ بالتَّوْحِيدِ، «وثِيَابَكَ فَطهِّرْ» أى طهر أعمالَكَ عن الشركِ، «والرُّجْزَ فاهْجُرْ» الرُّجْزُ: الأَصنام، وهَجْرُها تَرْكُها وأَهْلِها والبراءةُ منها وأهلِها. أَخَذَ على هٰذا عشرَ سِنِينَ يدعو إلى التوحيدِ، وبعدَ العشرِ عُرِجَ بِهِ إلى السَّماء وفُرِضَتْ عليهِ الصلواتُ الخمسُ. وصلَّى فى مكَّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ. والهجرَةُ: الاِنْتِقَالُ من بلدِ الشركِ إلى بلد الإسلامِ، والهجرة فريضةٌ على هذه الأُمَّةِ من بلد الشركِ إلى بلدِ الإسلام، وهى باقيةٌ إلى أَنْ تقومَ الساعةُ[٢]. والدليل قوله تعالى: (إنّ الذين توَفَّاهُمُ الملائكةُ ظالِمِى أَنْفُسِهِم قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كُنَّا مُسْتَضْعفِينَ فى الأَرضِ، قالوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فيها؟ فأُولٰئكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وساءَتْ مَصِيراً. إلّا الْمُسْتَضْعَفِينَ من الرجال والنساءِ والوِلدانِ الذين لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ولا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً. فأُولٰئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عنهم وكان اللهُ

---

(١) الآيات ١ — ٧ من سورة المدثر. (٢) انظر شرح النووى على الأربعين، فإنه رحمه الله تعالى قسم الهجرة إلى ثمانية أنواع، وأطال الكلام فى ذلك وأجاد.

عَفُوًّا غَفُوراً)(١) . وقوله تعالى : (ياعِبادِيَ الذين آمَنُوا إن أرضِي وَاسِعَةٌ فإيَّايَ فاعْبُدُونِ)(٢) . قال البغويُّ رحمه الله : سببُ نُزُولِ هذه الآية فى المسلمين الذين فى مَكَّةَ لم يُهاجِرُوا ، ناداهم الله باسم الإيمانِ . والدليل على الهجرةِ من السنةِ قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تَنْقَطِعُ الهجرةُ حتى تَنْقَطِعَ التَّوْبةُ ، وَلا تنقطِع التوبةُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ من مَغْرِبِها »(٣) . فلما اِسْتقَرَّ فى المدينة أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شرائعِ الإسلام ، مثل الزَّكاةِ ، والصومِ ، والحجّ ، والأذانِ ، والجهادِ ، والأمْرِ بالمعروفِ والنهى عن المنكرِ ، وغير ذلك من شرائع الإسلام . أخَذَ على هذا عشرَ سنينَ . وتُوُفِّيَ ، صلاةُ اللهِ وسلامه عليه ، ودِينهُ باقٍ ، وهذا دينهُ : لاخيرَ إلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عليه، ولا شَرَّ إلَّا حَذَّرَها عنه . والخيرُ الذى دَلَّها عليهِ التوحيدُ وجميعُ مايُحِبُّهُ الله ويرضاه ، والشَّرُّ الذى حَذَّرَها عنه الشرْكُ وجميعُ ما يَكرهه الله ويأباه . بعَثَهُ الله إلى الناس كافة ، وافْتَرَضَ طاعته على جميع الثَّقَلَيْنِ ، الجِنِّ والإنسِ . والدليل قوله تعالى : (قل :

---

(١) الآيات ٩٧ — ٩٩ من سورة النساء . (٢) الآية ٥٦ من سورة العنكبوت . (٣) أسنده المناوي فى كتابه كنوز الحِقائق إلى ابن عساكر بلفظ : « لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل » وإلى أحمد بن حنبل في مسنده بلفظ : « لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار » أي اشتدت صولتهم وقويت حركتهم .

يا أيها النَّاسُ إنى رسولُ الله إليكم جميعاً)(١) . وكمَّل اللهُ به الدينَ . والدليلُ قوله تعالى : (اليَوْم أكْمَلْتُ لكم دِينَكُمْ وأتْممْتُ عليكم نِعمَتِي ورضِيتُ لكم الإسلامَ دِيناً)(٢) . والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (إنَّكَ مَيِّتٌ وإنهم مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إنكم يومَ القيامَة عِنْدَ ربكم تَخْتَصِمُونَ)(٣) . والناسُ إذا ماتُوا يُبْعَثُونَ . والدليل قوله تعالى : (مِنها خَلقْنا كُمْ وفيها نُعيدُكُمْ ومنها نُخْرِجُكُمْ تارةً أخرى)(٤) . وقوله تعالى : (واللهُ أنْبتَكُمْ من الأرضِ نباتاً ، ثمَّ يعيدكُمْ فيها ويُخْرِجُكُمْ إخراجًا)(٥) . وبعدَ البعثِ مُحَاسَبُونَ

---

(١) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف . (٢) الآية ٣ من سورة المائدة . والمراد باليوم يوم الجمعة ، وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع ، هكذا ثبت في الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه . والمعنى أن الله تبارك وتعالى أخبر أن هذا اليوم المبارك العظيم أكمل فيه الدين الذى جاء به خاتم المرسلين ، فهو غير محتاج إلى إكمال ، لظهوره على الأديان كلها وغلبته لها ، ولكمال أحكامه التي يحتاج إليها المسلمون من حلال وحرام ومشتبه وفرائض وسنن وحدود وأحكام . وقد قال عليه السلام : « تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها ونهارها سواء » ، وفيه بيان جلى بأن كل ما أحدث في الدين فهو بدعة وضلالة ، لم يأذن بها الله ولا رسوله ، والمنتسب لها ضال مضل ، زائد على ما في الكتاب والسنة . اللهم اهد خلقك لدينك الخالص ، وصراطك المستقيم . (٣) الآيتان ٣٠ و ٣١ من سورة الزمر . (٤) الآية ٥٥ من سورة طه . (٥) الآيتان ١٧ و ١٨ من سورة نوح .

ويجزيُّونَ بأعمالِهِمْ . والدليل قوله تعالى : (ولله ما فى السَّموَاتِ وما فى الأرضِ لِيَجْزِىَ الذين أساؤوا بمَا عَمِلوا ويَجْزِىَ الذين أحْسنُوا بالْحسنىٰ)(١) . ومن كَذَّبَ بالبعثِ كَفَر . والدليل قوله تعالى : (زَعَمَ الذين كَفَرُوا أن لَنْ يُبْعَثُوا ، قُلْ بَلى ورَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثم لَتُنَبَّؤُنَّ بمَا عَمِلْتُمْ ، وذلك على اللهِ يَسِيرٌ)(٢) . وأرسلَ اللهُ جميعَ الرُّسُلِ مُبشِّرِين ومُنْذرين . والدليل قوله تعالى : (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ لِئلاَّ يكونَ للناس على اللهِ حُجَّةٌ بعدَ الرُّسُلِ)(٣) . وأَوَّلُهُمْ نوحٌ عليهِ السلام ، وآخِرُهُمْ محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتَمُ النَّبِيِّينَ . والدليل على أنَّ أوَّلَهُمْ نوحٌ قوله تعالى : (إنَّا أوْحَيْنا إليكَ كما أوْحَينا إلى نوحٍ والنبيِّينَ من بعدِهِ)(٤) . وكلُّ أُمَّةٍ بعث اللهُ

(١) الآية ٣١ من سورة النجم . (٢) الآية ٧ من سورة التغابن .

(٣) الآية ١٦٥ من سورة النساء . (٤) الآية ١٦٣ من سورة النساء ، وهى لاتدل على أن نوحاً أول رسول ، بل الذى تدل عليه أن الله جل ذكره أخبر أنه أوحى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى نوح ومن بعده من النبيين أيضاً إلى إبرهيم وإسمعيل ، إلى آخر ما ذكر فى الآية . وقد أخبر الله بعد هذه الآية بأنه قص على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى القرآن رسلا وترك رسلا لم يقصصهم عليه . وقد جاء فى الحديث الذي رواه بن مردويه عن أبي ذر قال : قلت : يارسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، قلت . يا رسول الله كم الرسل منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير ، قلت :

إليهمْ رسولاً من نوحٍ إلى محمدٍ يأمرُهمْ بعبادة الله وحدهُ ، وينهاهمْ عن عبادةِ الطاغوتِ . والدليل قوله تعالى : (ولقدْ بعثْنا فى كلِّ أمةٍ رسولًا أنِ اعْبُدُوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)[1] . وافترض اللهُ على جميع العبادِ الكُفرَ بالطّاغُوتِ والإيمانَ باللهِ . قال ابن القيِّمِ رحمَهُ اللهُ تعالى : معنى الطّاغوتِ ما تجاوَزَ بهِ العبدُ حدَّهُ منْ معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ ، والطَّواغيتُ كثيرون ، ورؤوسهم خمسةٌ : إبْليسُ لعنه الله ، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ ، ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادة نفسهِ ، ومَنِ ادَّعَى شيئاً من علم الغيبِ ، ومن حكمَ بغيْرِ ما أنزلَ اللهُ والدليل قوله تعالى : (لا إكْراهَ فى الدِّينِ ، قد تَبيّنَ الرُّشْدُ من الغَيِّ ، فَمَنْ يَكفُرْ بالطّاغُوتِ ويُؤْمِنْ باللهِ فقد اسْتَمْسَكَ بالعروةِ الوُثْقَى لا انْفِصَامَ لها ، واللهُ سميعٌ عَليمٌ)[2] . وهذا هو معنى لا إلَهَ إلا الله . وفى الحديث : « رأسُ الأمرِ الإسلامُ ، وعَمُودُهُ الصلاةُ ، وذُرْوَةُ

يا رسول الله من كان أولهم ؟ قال : آدم ، قلت : يا رسول الله نبي مرسل ؟ قال : نعم خلقه الله بيده » الحديث ، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره . «وقد روى هذا الحافظ أبو حاتم البستي فى كتابه الأنواع والتقاسيم وقدوسمه بالصحيح » .

(١) الآية ٣٦ من سورة النحل . (٢) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

سَنَامِهِ الجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ »[1] . واللهُ أعلم .

تمّتِ الأُصولُ الثّلاثةُ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ، فذكره السيوطى فى الجامع الصغير بلفظ : « رأس هذا الأمر الإسلام ، ومن أسلم سلم ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، لاينالهُ إلا أفضاهم » وأشار إلى أنه صحيح ، وقال المناوي فى شرحه : وهو حسن . والمعنى : أن رأس هذا الأمر المسؤول عنه الإسلام ، ومن أسلم بأن نطق بالشهادتين سلم في الدنيا بحقن دمه ، وفى الآخرة بالفوز بالجنة والتمتع بنعيمها . وعموده الذى يقوم به الصلاة ، فإن قيام شعائر الدين بها ، كما أن العمود المحسوس هو الذى يقيم البيت ، وذروة سنامه ، أى أعلى مكان فيه وأحسنه ، الجهاد ، فهو أعلى العبادات من حيث إن به ظهور الدين وحمايته من العابثين ، ومن ثم كان لا يناله إلا أفضلهم ديناً ، وأجرؤهم إقداماً ، وأصبرهم ثباتاً ، وأقواهم إيماناً ، وأقربهم تصديقاً ، وأصلبهم في دين الله تعالى ، فهو أعلى من هذه الجهة ، وإن كان غيره أعلى من جهة أخرى . ولكن هذا في غير زمننا الذى نحن فيه ، القرن الرابع عشر ، الذي ترك فيه الجهاد رأساً بكل أنواعه وأسبابه ، ولذلك استحوذ علينا العدو من كل جهة ، نستنصر فلا ننصر ، ونستغيث بالله تعالى فلا نغاث ، ونستشفع بأعمالنا فلا نشفع ، وندعو فلا يستجاب لنا ، إلى متى ونحن في رقود ؟ إلى متى ونحن في غفلة ؟ إلى متى ونحن في تأخر عن الدين وإقبال على الدنيا الدنية ؟ إلى متى ونحن في إعراض عن العمل بما جاء به ديننا الحنيف والانكباب على المعاصي والبدع الذميمة ؟ ألم يكف ما فعل في الغرب بالبربر المسلمين وفي برقة بالطرابلسيين أخيراً منبهاً لنا اللهم شكراً لك لا كفراً ، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا أرحم الراحمين .

(شروط الصــــلاة)

بسم الله الرحمن الرحيم

شروط الصلاةِ تِسْعَةٌ :

الإسلامُ ، والعَقْلُ ، والتَّمْيِيزُ ؛ ورَفْعُ الحَدَثِ ، وإزالةُ النَّجاسَةِ ، وسَتْرُ العَوْرَةِ ، ودُخُولُ الوقتِ ، واستقبالُ القِبلةِ ، والنيةُ .

الشرطُ الأول : الإسلامُ ، وضِدُّه الـكفرُ ، والـكافر عَمَلُهُ مردودٌ ، ولو عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ . والدليل قوله تعالى : (ما كان للمشركينَ أنْ يَعْمُرُوا مساجدَ اللهِ شاهِدينَ على أنْفُسِهِمْ بالـكُفرِ ، أُولئكَ حَبِطَتْ أعْمالُهُمْ وفى النَّارِ هم خالِدُونَ)(١) . وقوله تعالى : (وقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا من عَمَلٍ فجعلناهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)(٢) .

الثَّانى : العقلُ ، وضِدُّهُ الجُنُونُ ، والمجْنُونُ مرفوعٌ عنه القلمُ حتَّى يُفِيقَ . والدليلُ الحديثُ : « رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ : النائِمِ حتى

---

(١) الآية ١٧ من سورة التوبة . (٢) الآية ٢٣ من سورة الفرقان .

يَسْتَيْقِظَ ، والمجنونِ حتى يُفِيقَ ، والصغيرِ حتى يَبْلُغَ »[١] .

الثالث : التَّمييزُ ، وضده الصِّغرُ : وحدُّهُ سبع سنينَ ثم يؤمر بالصلاة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « مُرُوا أَبْناءَكُم بالصلاةِ لِسَبْعٍ ، واضربوهم عليها لِعَشْرٍ ، وفَرِّقُوا بينهم فى المَضَاجِعِ »[٢]

الشرط الرابع : رَفْعُ الحَدَثِ ، وهو الوُضُوءُ المعروفُ ، ومُوجِبُه الحَدَثُ . وشروطه عشرةٌ : الإسلامُ ، والعقلُ ، والتَّمييزُ ، والنِّيَّةُ ، واستصْحَابُ حُكْمِهَا ، بأن لا يَنْوِىَ قَطْعَهَا حتى تَتِمَّ الطَّهَارَةُ ، وانقطاعُ مُوجِبٍ ، واستنجاءٌ أو استجمارٌ قبلَهُ ، وطَهُورِيَّةُ ماءٍ ، و إباحتُه ، و إزالةُ ما يَمْنعُ وصولَهُ إلى البَشَرَةِ ، ودخول وقتٍ على مَن حَدَثُهُ دَائِمٌ لِفَرْضِهِ .

﴿ وأمَّا فُرُوضُه ﴾ فستَّةٌ : غَسْلُ الوجهِ ، ومنه المضمضةُ والاستنشاقُ ، وحَدُّهُ طولاً من مَنَابِتِ شعرِ الرَّأسِ إلى الذَّقَنِ ،

---

(١) رواه أحمد فى مسنده وأبو داود والنسائى وابن ماجة ، ورواه الحاكم فى مستدركه بلفظ قريب من هذا (ج ١ ص ٢٥٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره على ذلك الحافظ الذهبي . وقوله « رفع » كناية عن عدم التكليف في جانب الصغير . (٢) رواه الحاكم بلفظ قريب من هذا (ج ١ ص ٢٥٨) وأقره الذهبي على تصحيحه ، ورواه الإمام أحمد فى المسند وأبو داود في سننه .

وَعَرْضاً إلى فُرُوعِ الأُذُنَينِ ، وغسلُ اليدين إلى المِرْفَقَيْنِ ، ومسحُ جميعِ الرَّأسِ ، ومنهُ الأُذنانِ ، وغسلُ الرجلينِ إلى الكعبينِ ، والتَّرتِيبُ ، والمُوالاةُ . والدليل قوله تعالى : (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا قُمْتُمْ إلى الصلاةِ فاغسِلُوا وُجُوهَكُمْ وأَيْدِيَكُمْ إلى المَرَافِقِ وامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وأَرْجُلَكُمْ إلى الكَعبينِ) الآية[1] . ودليل الترتيبِ الحديثُ : « ابدَؤوا بِمَا بدأَ اللهُ به »[2]. ودليلُ المُوالاةِ[3] حَدِيثُ صَاحِبِ اللُّمْعَةِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَنَّهُ لمَّا رأَى رَجُلاً في قَدَمِه لُمْعَةٌ قَدْرَ الدِّرْهَمِ لَمْ يُصِبْهَا المَاءُ فأَمَرَهُ بالإِعَادَةِ[4] . ووَاجِبُهُ التَّسْمِيةُ مَعَ الذِّكْرِ[5] .

---

(١) الآية ٦ من سورة المائدة . (٢) رواه النسائي في سننه الكبير بهذا اللفظ ، وصححه ابن حزم في المحلى ، وله طرق عند الدار قطني ، ورواه مسلم « أبدأ » بلفظ الخبر ، ورواه أحمد وغيره بلفظ « نبدأ » بالنون .

(٣) أي التتابع بدون مهلة . (٤) رواه الدارقطني من حديث سالم عن ابن عمر عن أبي بكر وعمر قالا : « جاء رجل وقد توضأ وبقي على ظهر قدميه مثل ظفر إبهامه ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ارجع فأتم وضوءك ، ففعل » .

(٥) دليل التسمية حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » . أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم ، وهو حديث حسن يصح الاحتجاج بمثله . وهذا إذا ذكر ، وأما إذا نسي فلا شيء عليه ؛ جمعاً بين الأحاديث .

﴿ونَوَاقِضُهُ ثَمانِيَةٌ﴾ : الخَارِجُ منَ السَّبيلَيْنِ. والخَارِجُ الفَاحِشُ النَّجِسُ منَ الجَسَدِ ، وزَوَالُ العَقْلِ ، ومَسُّ المَرْأَةِ بِشَهْوَةٍ ، ومَسُّ الفَرْجِ باليَدِ قُبُلًا كانَ أَوْ دُبُرًا ، وأَكْلُ لحمِ الجَزُورِ ، وتَغْسِيلُ المَيِّتِ ، والرِّدَّةُ عَنِ الإِسْلَامِ ، أَعاذَنَا اللهُ مِنْ ذَلِكَ .

الشَّرْطُ الخَامِسُ : إِزَالَةُ النَّجَاسَةِ مِنْ ثَلَاثٍ : مِنَ البَدَنِ ، والثَّوْبِ : والبُقْعَةِ . والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعالى : (وثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) [١] .

الشَّرْط السَّادِسُ : سَتْرُ العَوْرَةِ . أَجْمَعَ أَهْلُ العِلْمِ على فَسَادِ صَلَاةِ مَنْ صَلَّى عُرْيَانًا وهُوَ يَقْدِرُ . وحَدُّ عَوْرَةِ الرَّجُلِ مِنَ السُّرَّةِ إلى الرُّكْبَةِ ، والأَمَةُ كذلك ، والحُرَّةُ كُلُّها عَوْرَةٌ إلَّا وجهها [٢] . والدليل قوله تعالى : (يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) [٣] أى عند كل صلاة .

الشرط السابع : دخولُ الوقتِ والدليلُ من السنةِ حديثُ

---

(١) الآية ٤ من سورة المدثر . (٢) هذا مذهب أحمد بن حنبل . قال في شرح دليل الطالب : « والحرة البالغة كلها عورة فى الصلاة حتى ظفرها وشعرها إلا وجهها ، والوجه والكفان من الحرة البالغة عورة خارج الصلاة باعتبار النظر كبقيه بدنها » وأما عند الشافعي رحمه الله فالحرة كلها عورة إلا وجهها وكفيها في الصلاة . (٣) الآية ٣١ من سورة الأعراف . والزينة : ما وارى العورة ولو عباءة ، والمسجد : الصلاة .

جبريلَ عليهِ السلامُ : أنَّه أمَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فى أوَّلِ الوقتِ وفى آخرِهِ فقال : « يا محمدُ الصَّلاةُ بين هذينِ الوقتين »[١]. وقوله تعالى : (إنَّ الصَّلاةَ كانت على المُؤْمِنين كِتَاباً مَوْقُوتاً)[٢] . أى مفروضاً فى الأوقاتِ . ودليلُ الأوقاتِ قوله تعالى : (أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشمسِ إلى غَسَقِ الليلِ وقرآنَ الفجرِ إنَّ قرآنَ الفجرِ كان مشهوداً)[٣]

الشرط الثامن : استقبال القبلةِ . والدليلُ قوله تعالى : (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وجهكَ فى السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قبلةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحَرَامِ ، وحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)[٤] .

الشرط التاسع : النيةُ ، ومَحَلُّها القلبُ ، والتَّلفظُ بِها بِدْعَةٌ .

---

(١) الحديث رواه مطولا الإمام أحمد بن حنبل والنسائى والترمذى وابن حبان والحاكم . وروى الترمذى فى سننه عن البخارى أنه أصح شىء فى الباب .

(٢) الآية ١٠٣ من سورة النساء . (٣) الآية ٧٨ من سورة الإسراء . دلوك الشمس : زوالها عن دائرة نصف النهار ، وقيل : غروبها . وغسق الليل : شدة ظلمته ، وهو وقت العشاء . وقرآن الفجر : صلاته . (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) : أى تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . (٤) الآية ١٤٤ من

والدليل الحديثُ : « إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ ، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نَوَى »[١] .

وأركانُ الصلاةِ أربعة عشرَ : القيامُ مع القدرةِ ، وتكبيرةُ الإحرامِ ، وقراءةُ الفاتحةِ ، والركوعُ ، والرفعُ منهُ ، والسجودُ على الأعضاءِ السبعةِ ، والاعتدالُ منه ، والجلسةُ بين السجدتينِ . والطُّمأنينةُ في جميعِ الأركانِ ، والترتيبُ ، والتشهُّدُ الأخيرُ ، والجلوسُ لهُ ، والصلاةُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، والتسليمتانِ .

الركن الأوَّل : القيام مع القدرة . والدليل قولهُ تعالى : (حافِظُوا على الصَّلَواتِ والصلاة الوسطى وقوموا للهِ قانِتين)[٢]

الثاني : تكبيرةُ الإحرام . والدليل الحديثُ : « تحريمُها التكبيرُ، وتحليلُها التسليمُ »[٣] . وبعدَها الاستِفتاحُ ، وهو سُنَّةٌ . وقول : « سُبْحَانكَ اللهمَّ و بحَمْدِكَ وتبارَكَ اسْمُكَ وتَعالَى جَدُّكَ ولَا إلهَ غيْرُكَ » ومَعْنَى « سُبْحَانكَ اللَّهُمَّ » : أي أُنَزِّهُكَ التَّنْزيهَ اللائقَ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من عدة طرق مع اختلاف في اللفظ ، ومسلم في صحيحه في آخر كتاب الجهاد ، وأصحاب السنن وغيرهم . (٢) الآية ٢٣٨ من سورة البقرة . (٣) الحديث رواه الشافعي وأحمد والبزار وأصحاب السنن إلا النسائي . وصححه الحاكم وابن السكن بلفظ : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » .

بجلالك . « وبحمدِكَ » أى ثناء عليك . « وتبارك اسمُكَ » أى البركة تُنالُ بذِكْرِكَ . « وتعالى جَدُّكَ » : أى جَلَّتْ عظَمَتُكَ . « ولا إله غيرُكَ » : أى لا معبودَ فى الأرضِ ولا فى السَّماء بِحَقٍّ سوَاكَ يا أللهُ .

« أعُوذُ باللهِ منَ الشيطانِ الرَّجيمِ » . معنى : « أعُوذ » ألُوذُ وألتجِىء وأعْتَصِمُ بك يا أللهُ . « مِنَ الشيطان الرجيم » المَطْرُودِ المبعَدِ عن رحمةِ الله ، لا يَضُرُّنِى فى دِينى ولا فى دُنْيايَ . وقراءةُ الفاتحة رُكْنٌ فى كلِّ ركعةٍ ، كما فى الحديث : « لاصلاةَ لِمَنْ لم يقرأْ بفاتحة الكتابِ »[1] . وهى أمُّ القرآن[2] (بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيمِ) برَكةً واستعانةً (الحمد لله) « الحمد » ثناء ، والألِفُ واللامُ لاستغراقِ جميع المحامِدِ ، وأما الجميلُ الذى لا صُنْعَ له فيه ، مثل الجمالِ ونحوِهِ ، فالثناء بهِ يُسَمَّى مدحًا لا حمداً . (رَبِّ العالَمِينَ) « الرَّبُّ » هو المعبودُ الخالقُ الرَّازقُ المالِكُ المتصرِّفُ مُرَبِّى جميع الخلقِ بِالنِّعَمِ . « العالَمِينَ » كلُّ ما سِوى اللهِ عالَمٌ ، وهو ربُّ الجميع . (الرحمن) رَحْمَةً عامَّةً جميعَ المخلوقات . (الرَّحيم) رحمةً خاصَّةً بالمؤمنين .

---

(١) رواه البخاري وغيره . (٢) لأنها أصل القرآن ، والأم : الأصل . وإنما صارت أصل القرآن لأن الله تعالى أودعها مجموع ما فى السور ، لأن فيها إثبات الربوبيـة والعبودية ، وهذا هو المقصود بالقرآن .

والدليل قولُه تعالى : (وكان بالمؤمنينَ رَحِيمًا)(١) . (مالكِ يَوْمِ الدِّينِ) يومِ الجزاء والحساب ، يَوْمَ كلٌّ يجازَى بعَمَلِهِ ، إنْ خيراً فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ . والدليل قوله تعالى : (وما أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ . ثمَّ ما أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ . يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شيئًا والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ للهِ)(٢) . والحديثُ عنه صلى الله عليه وسلم : « الكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ وعملَ لِمَا بعدَ الموتِ ، والعاجزُ مَن أَتْبع نفسَه هواها وتَمَنَّى على اللهِ الأَمانِي »(٣) . (إياكَ نَعْبُدُ) أَيْ لا نعبدُ غيرَكَ ، عَهْدٌ بين العبدِ وبين ربهِ أنْ لا يعبد إلّا إيّاهُ . (وإيّاكَ نَسْتَعِينُ) عَهْدٌ بين العبدِ وبين ربهِ أن لا يستعينَ بأَحَدٍ غيرِ اللهِ . (اهْدِنا الصِّرَاطَ المستقيم) معنى « اهْدِنا » دُلَّنا

---

(١) الآية ٤٣ من سورة الأحزاب . (٢) الآيات ١٧ — ١٩ من سورة الانفطار . (٣) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم عن شداد بن أوس، وصححه الحاكم ولم يوافقه الذهبي . والمعنى ، والله أعلم ، أن العاقل المتبصر في الأمور الناظر فى العواقب من حاسب نفسه وأدبها واستعبدها وقهرها حتى تصير مطيعة منقادة لا تخالفه البتة ، وعمل لما بعد الموت قبل نزوله بغتة ليكون على نور من ربه فيستعد له . والعاجز المقصر فى الأمور من أتبع نفسه هواها فلم يكفها عن الأهواء والشهوات ، ولم يمنعها عن مقارفة المحرمات ، ومع ذلك كله يتمنى على الله الأمانى ، فهو مع تفريطه فى طاعة ربه واتباع شهواته لا يعتذر بل يتمنى على الله أن يعفو عنه ويعد نفسه بكرم المولى ورحمته ، ولا شك أن هذا غاية الجهل والحمق ، أورده الشيطان فى قالب الدين نعوذ بالله منه .

وأَرْشِدْنا وثَبِّتْنَا ، و« الصِّرَاطَ » الإسلامُ ، وقيل الرسولُ ، وقيل القرآنُ ، والكُلُّ حَقٌّ . و« المُسْتقيمُ » الذى لا عِوَجَ فيهِ . (صِراطَ الذينَ أنعمتَ عليهم) طَرِيقَ المنْعِمِ عليهم . والدليل قوله تعالى : (ومن يُطِعِ اللهَ والرسُولَ فأُولئكَ مع الذينَ أَنْعمَ اللهُ عليهم منَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهداء والصَّالِحينَ وحَسُنَ أُولئك رَفِيقاً)[1] ، (غيْرِ المَغْضُوبِ عليهم) وهم اليهودُ ، معهم عِلْمٌ ولم يَعْمَلوا بهِ ، تَسْأَلُ اللهَ أن يُجنِّبَكَ طَرِيقهم . (ولا الضَّالِّين) وهم النصارَى ، يعبدون الله على جهلٍ وضلالٍ ، تَسْأَلُ اللهَ أن يُجَنِّبَكَ طريقَهم . ودليلُ الضالينِ قوله تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعْمَالاً . الذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحياةِ الدُّنيا وهُمْ يَحْسَبونَ أنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)[2] . والحديث عنه صلى الله عليهِ وسلم : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ[3] مَنْ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ[4] حتى لوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ[5] لَدَخَلْتُمُوهُ ،

---

(١) الآية ٦٩ من سورة النساء . (٢) الآيتان ١٠٣ و ١٠٤ من سورة الكهف . (٣) هو بفتح السين المهملة الطريق . (٤) هى بضم القاف ريش السهم ، وهو كناية عن شدة الموافقة لهم فى المخالفات والمعاصي لافي الكفر ، وهذا خبر معناه النهي عن اتباعهم ومنعهم من الالتفات لغيره . (٥) هو بضم الجيم وسكون الحاء المهملة ، بيته ، والضب حيوان بري . والمعنى أن هذه الأمة تتشبه بأهل الكتاب في كل مايفعلون من الشر حتى لوفعلوا هذا الذي يخشى منه الضرر البين

قالوا : يا رَسولَ اللهِ اليهودُ والنصارى ؟ قال : فَمَنْ »[١] . أخرجاهُ .
والحديث الثانى: « أُفتَرَقَتِ اليهودُ على إحدى وسبعينَ فرقة ، وأُفترَقَتِ النصارى على أُثنَتَيْنِ وسبعينَ فرقةً ، وستفترقُ هذه الأُمَّةُ على ثلاثٍ وسبعين فرقةً ، كلُّها فى النَّار إلا واحدةً ، قلنا : من هى يا رسول الله ؟ قال : منْ كَانَ على مثل ما أنَا عليهِ وأصحابى »[٢] . والرُّكوعُ ، والرفع منه ، والسجودُ على الأعضاء السبعةِ ، والاعتدالُ منه ، والجلسةُ بين السَّجْدَتَيْنِ . والدليل قوله تعالى : (يا أَيُّها الذين آمنُوا أرْكعُوا وأسْجُدُوا)[٣] . والحديث عنه صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ

لاتبعوهم فيه . وقيل : أصل ذلك أن الحية تدخل على الضب جحره فتخرجه منه وتسكنه ، ومن ثم قالوا : أظلم من حية . فمعنى الحديث — والله أعلم — حتى لو فعلوا من الظلم ما تفعله الحية بالضب من إزعاج أحد من محله وإخراجه منه والسكن فيه ظلماً لفعلتموه .

(١) استفهام انكاري ، أي ليس المراد غيرهم . وأخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه : « لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه » .

(٢) رواه أصحاب السنن الأربعة ، وقال الترمذي : حسن صحيح . واعلم أن هذا الافتراق المعنيّ بالحديث المذموم عليه علماء القديم والحديث هو ما كان فى أصول الدين والتوحيد ، لاما كان في فروع الفقة ، لأن الأول كفر أهله بعضهم بعضاً ، بخلاف الثاني . وفى قوله: « على مثل ما أنا عليه وأصحابي» إبطال لما يحدث الدين من البدع ، فإنها شر كلها ، بل هلاك الدين بها .

(٣) الآية ٧٧

أنْ أسْجُدَ على سبعةٍ أعظُمٍ »(١) . والطُّمأْنينَةُ في جميعِ الأفعالِ ، والتَّرْتِيبُ بين الأركان . والدليل حديثُ المُسيء ، عن أبي هُرَيْرَةَ قال : « بَينما نحن جلوسٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ دخَلَ رَجُلٌ فصلَّى فَسلَّمَ على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالَ : ارْجِعْ فَصلِّ فإنَّك لم تُصلِّ ، فعلها ثلاثًا ، ثمَّ قال : والذي بعَثَكَ بالحقِّ نبيًّا لا أُحسِنُ غيرَ هذا فعلِّمْني ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إذا قُمْتَ إلى الصَّلاةِ فَكَبِّرْ ، ثمَّ اقْرَأْ ما تيسَّرَ معك مِنَ القرْآنِ ، ثمَّ ارْكَعْ حتى تَطْمَئِنَّ راكِعًا ، ثمَّ ارفَعْ حتى تعتدلَ قائمًا ، ثمَّ اسْجُدْ حتى تطمئنَّ ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئنَّ جالساً ، ثم افعل ذلك في صلاتِكَ كلِّها »(٢) . والتَّشهُّدُ الأخيرُ رُكْنٌ مفروضٌ ، كما في الحديث عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال : « كُنَّا نقولُ قبلَ أن يُفرَضَ علينا التشهدُ : السَّلامُ على الله من عباده ، السلامُ على جبريلَ وميكائيلَ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا : السلامُ على الله من عبادِهِ ، فإن الله هو السلامُ ، ولكن قولوا : التَّحيَّاتُ للهِ والصَّلَوَاتُ والطيباتُ ، السلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما مطولا ، واقتصر المصنف على محل الشاهد منه.

(٢) [illegible] وغيرهما .

السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحينَ ، أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وأشهدُ أن محمداً عبدهُ ورسولُهُ »[1] . ومعنى « التحيات » جميعُ التعظيمات لله مُلكاً واستحقاقاً، مثلُ الانحناء والركوعِ والسجودِ والبقاء والدوامِ ، وجميعُ ما يعظَّمُ بهِ ربُّ العالمين فهو لله ، فمَنْ صرَفَ منه شيئاً لغيرِ اللهِ فهوَ مشركٌ كافرٌ[2] . و « الصَّلَوات » معناها جميعُ الدعواتِ ، وقيل الصلواتُ الخمسُ . و « الطيّباتُ للهِ » اللهُ طيِّبٌ ولا يقبلُ من الأقوالِ والأعمالِ إلا طيِّبها . « السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةالله وبركاتُه » تَدْعو للنبي صلى الله عليهِ وسلم بالسلامة والرحمة والبركةِ ، والَّذِي يُدْعى له ما يُدْعَى مع اللهِ . و « السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحينَ » تُسَلِّمُ على نفسكَ وعلى كل عبدٍ صالحٍ في السماء والأرضِ . و « السلامُ » دُعاء ، و « الصالحونَ » يُدْعَى لهم ولا يُدْعَوْنَ مع اللهِ . « أشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له » تَشْهدُ شهادةَ اليقينِ أن لا يُعْبدَ في الأرض ولا في السماء بحقٍّ إلاَّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في غيرموضع ، ورواه غيره . (٢) لا شك أن كل ما يعظم به الرب تبارك وتعالى في السجود والركوع والدعاء في الشدائد والالتجاء عند نزول الكرب ، إذا فعل لغيره ، جل ذكره وتعالت صفاته ، فهو كفر به تعالى [illegible]

اللهُ ، وشهادةُ أن محمداً رسولُ الله بأنّهُ عبدٌ لا يُعْبدُ ، ورسولٌ لا يُكَذّبُ ، بل يُطَاعُ وَيُتّبع ، شَرّفَهُ الله بالعبوديّةِ . والدليلُ قوله تعالى : (تَبارَكَ الّذِى نَزّلَ الفُرْقانَ على عبدِهِ لِيكونَ للعالمينَ نَذِيراً)[1] . « اللّهمّ صَلّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صلّيْتَ على إبرهيم إنّكَ حَميدٌ مَجيدٌ » الصّلاةُ منَ اللهِ ثناؤُهُ على عبده فى الملإِ الأعلى ، كما حَكَى البخارِىُّ فى صحيحه عن أبى العاليةِ قال : صلاةُ اللهِ ثناؤُهُ على عبده فى الملإِ الأعلى ، وقيلَ : الرحمةُ . والصوابُ الأوّلُ ، ومنَ الملائكةِ الاستغفارُ ، ومن الآدميّينَ الدّعاء . و « بارِكْ » وما بعدها سُنَنُ أقوالٍ وأفعالٍ .

والواجباتُ ثمانيةٌ : جميعُ التكبيراتِ غيرَ تكبيرةِ الإحرامِ . وقوْلُ « سُبْحَانَ رَبّىَ العَظِيمِ فِى الرُّكُوعِ » ، و « قولُ سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَهُ » للإمامِ والمنفردِ ، وقولُ « رَبّنا ولك الحمدُ » للكلّ ، وقولُ « سبحانَ رَبّىَ الأعلى » فى السُّجُودِ ، وقولُ « رَبِّ اغفرْ لى » بين السجدتينِ ، والتّشَهُّدُ الأوّلُ والجلوسُ لهُ .

---

(١) الآية ١ من سورة الفرقان .

فالأرْكانُ ما سَقَطَ منها سهواً أو عمداً بَطَلَتِ الصلاةُ بِتَرْكِهِ والواجباتُ ما سقطَ منها عمداً بَطَلَتِ الصلاةُ بتركِهِ ، وسهواً جبَرَهُ السُّجُودُ للسَّهْوِ . والله أعلم .

القواعد الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم

أسألُ اللهَ الكريمَ ربَ العرشِ العظيمِ أن يتولاكَ في الدنيا والآخرةِ ، وأن يجعلَكَ مباركاً أينما كنتَ ، وأن يجعلكَ ممّنْ إذا أُعطِيَ شكر ، وإذا ابْتُلِيَ صبر ، وإذا أذْنَبَ استغفرَ ، فإنّ هؤلاء الثلاثَ عنوانُ السعادة .

اعلم أرشدكَ اللهُ لطاعته أنّ الحنيفيّةَ مِلّةَ إبراهيمَ أنْ تعبُدَ اللهَ وحدَه مخلصاً لهُ الدينَ ، كما قال تعالى : (وما خلقْتُ الجنَّ والإنسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ) . فإذا عرفتَ أنّ الله خلقكَ لعبادته فاعلم أنّ العِبادةَ لا تُسمّى عبادةً إلاّ مع التوحيدِ ، كما أنّ الصلاةَ لا تُسمّى صلاة إلاّ مع الطهارةِ ، فإذا دخل الشّركُ في العبادةِ فسدَتْ ، كالحَدَثِ إذا دخلَ في الطّهارةِ ، فإذا عرفْتَ أنّ الشركَ إذا خالط العِبادةَ أفْسَدَها وأحبطَ العملَ وصار صاحبُه من الخالدينَ في النّار عرفْتَ أنّ أهمّ ما عليك معرفةُ ذلك ، لعل اللهَ أن يُخلّصَكَ من هذه الشَّبكَة ،

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الذاريات . وقال ابن كثير في تفسيره : « أي إنما [illegible]

وهى الشركُ بالله، الذى قال الله تعالى فيه : (إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أن يُشْرَكَ به ويَغفِرُ ما دُونَ ذلك لِمَنْ يَشاء) . وذلك بمعرفة أربعِ قواعدَ ذَكرها اللهُ تعالى فى كتابه :

القاعدةُ الأولى : أن تَعلَمَ أن الكفارَ الذين قاتلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ تعالى هو الخالقُ المدبِّر، وأنّ ذلك لم يدخلهم فى الإسلام. والدليل قوله تعالى : (قل مَنْ يَرْزُقكمْ من السماءِ والأرض، أمَّنْ يَملِكُ السمعَ والأبصارَ، ومن يُخرِجُ الحَىَّ من الميِّتِ ويُخرِجُ الميِّتَ من الحىِّ، ومَنْ يُدبِّرُ الأمْرَ، فَسَيقولُونَ: اللهُ، فقُلْ : أفلاَ تتَّقُونَ)

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما دَعَوْنَاهُمْ وتَوَجَّهْنا إليهم إلاَّ لِطلبِ القُرْبةِ والشفاعةِ . فدليلُ القربةِ قوله تَعالى : (والذينَ اتَّخَذُوا منْ دُونِهِ أوْلِياءَ ما نَعبُدُهُمْ إلاَّ لِيقَرِّبُونَا إلى اللهِ زُلْفَى إنَّ اللهَ يَحكُمُ بينهم فى ما هُمْ فيهِ يَختلِفُونَ، إنَّ اللهَ لا يَهْدِى مَنْ هو كاذِبٌ كَفَّارٌ) ودليل الشفاعة قوله تعالى : (ويَعبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مالا يَضُرُّهُمْ ولا يَنفَعُهُمْ ، ويقولون : هؤُلاءِ شُفعاؤُنا

(١) الآية ١١٦ من سورة النساء . (٢) الآية ٣١ من سورة يونس .
(٣) الآية ٣ من سورة الزمر .

عِنْدَ اللهِ) . والشفاعةُ شَفاعَتَانِ : شفاعةٌ مَنْفِيَّةٌ ، وشفاعةٌ مُثْبَتَة .
فالشفَاعةُ المنفيةُ ما كانت تُطابُ من غير الله فيما لا يَقدِر عليهِ إلاَّ اللهُ ، والدليل قوله تعالى : (يا أَيُّها الذين آمَنُوا أَنفقوا مِمَّا رَزَقْنا كُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يأْتِيَ يومٌ لا بَيْعٌ فيه ولاَ خُلَّةٌ ولا شفاعةٌ . والـكافرونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) . والشفاعةُ المُثْبَتَةُ هى التى تُطابُ من اللهِ ، والشّافِعُ مُكْرَمٌ بالشّفاعةِ ، والمشفوعُ لهُ مَنْ رضى اللهُ قولَه وعملَه بعدَ الإذْنِ ، كما قال تعالى : (مَنْ ذَا الذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بإذْنِهِ)

والقاعدة الثالثة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم ظَهرَ على أُناسٍ

(١) الآية ١٨ من سورة يونس . (٢) الآية ٢٥٤ من سورة البقرة . وقال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : « يأمر الله تعالى عباده بالإنفاق مما رزقهم في سبيله سبيل الخير ، ليدخروا ثواب ذلك عند ربهم ومليكهم ، وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياه الدنيا ، من قبل أن يأتي يوم — يعني يوم القيامة — لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ، أي لا يباع أحد من نفسه ، ولا يفادى بمال لو بذله ، ولو جاء بملء الأرض ذهباً ، ولا تنفعه خلة أحد — يعني صداقته — بل ولا نسابته ، كما قال تعالى : (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ، ولا شفاعة أى ولا تنفعهم شفاعة الشافعين. وقوله تعالى : (والـكافرون هم الظالمون) مبتدأ محصور في خبره ، أى ولا ظالم أظلم ممن وافى الله يومئذ كافراً . وقد روى ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار أنه قال : الحمد لله الذى قال : والكافرون هم الظالمون ، ولم يقل والظالمون هم الـكافرون ، والله أعلم » .

(٣) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة . أي لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد

مُتفرِّقينَ في عباداتهم : منهم من يعبد الملائكةَ . وَمنهم من يعبد الأنبياء والصالحين . ومنهم من يعبد الأشجارَ والأحجار . ومِنهم من يعبد الشمس والقمرَ. وقاتَلهُمْ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ولم يُفرِّقْ بينهم . والدليل قوله تعالى : (وقاتلوهمْ حتّى لا تكونَ فِتْنةٌ ويكونَ الدِّينُ كلُّهُ للهِ) ودليل الشمس والقمر قوله تعالى (ومِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ والشمسُ والقمرُ ، لا تَسْجُدُوا للشمس ولا للقمرِ واسْجُدُوا للهِ الذِي خَلَقَهُنَّ إن كنتم إياه تَعْبُدُونَ) ودلِيل الملائكة قوله تعالى : (ولا يأْمُرَكُمْ أنْ تتَّخِذوا الملائكةَ والنَّبِيِّينَ أرْباباً) الآية ودليل الأنبياء قوله تعالى : (وإذْ قالَ اللهُ

عند الله تعالى إلا بإذنه له في الشفاعة ، لعظمته تعالى وجلاله وكبريائه ، كما في حديث الشفاعة « آتي تحت العرش فأخرّ ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع ، قال : فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ». والله أعلم .

(١) الآية ٩ من سورة الأنفال . (٢) الآية ٣٧ من سورة فصلت .

(٣) الآية ٨٠ من سورة آل عمران . وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره : « أي ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله ، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ، أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون : أي لا يفعل ذلك إلا من دعا إلى عبادة غير الله ، ومن دعا إلى عباده غير الله فقد دعا إلى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من

يا عِيسى ابْنَ مَرْيَم ءأَنْتَ قلتَ للناسِ اتّخِذُونِي وأُمِّيَ إلٰهَيْنِ من دُونِ اللهِ ، قال: سبحانكَ ، ما يكونُ لى أنْ أقُولَ ما ليس لى بِحَقٍّ ، إن كنتُ قُلْتُهُ فقد عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ ما فى نفسِى ولا أعلمُ ما فى نفسكَ ، إنَّكَ أنت عَلاّمُ الغُيُوبِ) . ودليل الصالحين قوله تعالى : (أُولٰئكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى رَبِّهِمُ الوسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ، ويَرْجُونَ رحمَته ويخافُونَ عذابَهُ) الآيه . ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى : (أفرَأَيْتُمْ اللاَّتَ والعُزَّى ومَنَاةَ الثالثَةَ الاخْرَى وحديثُ

رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعدون) . وقوله أرباباً أي آلهة مَن دون الله » والله أعلم .

(١) الآية ١١٦ من سورة المائدة . يخاطب الله بهذا عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام قائلا له يوم القيامة ، وقيل في الدنيا حين رفعه إلى السماء الدنيا بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله . وهو تهديد للنصارى وتوبيخ وتقريع على ررؤوس الأشهاد ، وجواب عيسى عليه السلام بقوله (سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق) غاية في الأدب وكمال الجواب . نسأل الله التأدب بآدابه والتخلق بأخلاقه . (٢) الآية ٥٧ من سورة الإسراء . وروى البخاري بسنده عن عبدالله فى قوله تعالى (أولئك الذين) الآية ، قال : ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا . وعن ابن مسعود قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ، فنزلت هذه الآية . والله أعلم . (٣) الآيتان ١٩ ، ٢٠ من سورة النجم . يقول الله تعالى ذلك مقرعاً المشركين في عبادتهم الأصنام

أبي وَاقِدٍ اللَّيْثيّ رضى الله عنه قال : « خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حُنَيْنٍ ونحن حُدَثاء عَهْدٍ بِكُفرٍ ، ولِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ

والأوثان والأنداد واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التى بناها خليل الرحمن عليه السلام . وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة ، وعليها بيت بالطائف له أستار وخدمة ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها ، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش . والعزى كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف ، كانت قريش يعظمونها ، ولذلك قال أبو سيفان يوم وقعة أحد : لنا العزى ولا عزى لكم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم ، ومناة كانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة ، وكانت خزاعة والأوس والخزرج فى جاهليتهم يعظمونها ويهلون منها للحج إلي الكعبة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أناساً من الصحابة رضي الله عنهم لهدمها ، فأرسل خالد بن الوليد سيف الله على المشركين إلى العزى فهدمها ، وجعل يقول :

يا عزى كفرانك لاسبحانك إنى رأيت الله قَدْ أهانك

وأرسل المغيرة بن شعبة وأباسفيان صخر بن حرب إلى اللات فهدماها ، وجعلا مكانها مسجداً بالطائف . وبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى مناة أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ، ويقال هدمها على بن أبى طالب .

فالنبي صلي الله عليه وسلم جاء بالدين الحق وإخلاص العبودية وإفراد المعبود بحق ، وإبطال العلدات القبيحة وكل ما يشوبه شيء من الشرك ، وجرى على ذلك أصحابه العظام وتابعوه الكرام من بعده ، إلى أن اختلط الحابل بالنابل ، واستحوذ الشيطان وغواة الباطل على عقول كثير من المسلمين ، فجددوا عبادة الأوثان ، لاسيما في عصرنا الحاضر ، عصر الجهل المركب والصور المزخرفة ، فلقد طم البلاء

يَمْكُفُونَ عندها ويَنُوطُونَ بها أَسْلِحَتَهُم يقال لها ذَاتُ أَنْوَاطٍ ، فَمَرَرْنا بِسِدْرةٍ ، فقلنا : يا رسولَ اللهِ اُجعلْ لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذَاتُ أَنْوَاطٍ » . الحديث .

القاعدة الرابعة أنّ مشركى زَمانِنَا أغلظُ شِرْكاً من الأوّلين ، لأن الأولينَ يُشركونَ فى الرخاء ويُخْلِصُونَ فى الشدةِ ، ومُشرِكُو زَمانِنَا شرْكُهم دائماً فى الرخاءِ والشدةِ . والدليل قوله تعالى : (فإذا رَكِبُوا فى الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مخلصين له الدينَ ، فلما نَجّاهُمْ إلى البَرِّ إذا هُم يُشْرِكُونَ)

تَمَّتْ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) الحديث خرجه الترمذى وصححه ، وقوله « حدثاء عهد بكفر » أى قريب عهدهم بالكفر والخروج منه والدخول فى دين الإسلام ، فلم يتمكن الإسلام من قلوبهم . وقوله «ينوطون» أى يعلقون بها أسلحتهم تبركا بها وتعظيماً لها . وقوله « ذات أنواط » هو جمع نوط ، مصدر سمي به المنوط ، أى المعلق، ظنوا أن هذا الأمر محبوب عند الله ، فقصدوا التقرب به إليه سبحانه . وإلا فهم أجل قدراً من أن يقصدوا مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الآية ٦٥ من سورة العنكبوت .